الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة 08 ماي 1945 قالمة

كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب عربي

الأستاذة: إيمان حراث

المستوى: سنة ثالثة ليسانس

تخصص: دراسات أدبية

الأفواج: (1+2+3)

# المحاضرة الحادية عشرة:

# اللغة والحوار في الرواية المغاربية

**تمهيد:**

رغم الاختلافات التي نجدها في ميل الكتاب إلى استعمال العامية أو الفصحى إلا أن الهدف واحد من وراء استعمال اللغتين، وهو إقناع القارئ بالشخصية الموجودة في العمل الروائي خاصة وإبراز ملامحها وذلك من خلال الانسجام بين اللغة والشخصية وقد تطغى لغة على أخرى في العمل الروائي، كما أن الحوار يؤدي وظيفة مهمة في التعريف بالشخصية ومن خلاله تتراءى للقارئ ملامح الشخصية ودورها. فإذا كانت إحدى الوظائف التي يمكن للحوار أن يؤديها فعلا، هي رسم الشخصيات، وإذا ما كنا نريد أن نحقق الإقناع لدى القارئ بالقصص أو الروايات التي نكتبها، وبأن ما يجري فيها إنما يجري فالحياة وليس شرطا أن تكون حياتنا بالطبع، ولكن الحياة التي نفترضها وبمنطقها هي، فإننا نحتاج إلى أن نرى شخصياتها ونحسها ونألفها.

ولقد تضمنت الرواية استعمالات عديدة لأنواع الحوار، حيث أن وصف الشخصية في النص يأتي من خلال الحوار مع الآخر فهو لا يتم إلا عبر قنطرة الزمان والمكان، فضلا عن المكونات النفسية والسلوكية، لأن بهذا الأسلوب يتمكن الراوي من سبر أغوار الشخصية والكشف عن اتجاهاتها وأزماتها الخارجية ووعيها لما حولها وفهمها لأدق الأمور التي تسكن تفكيرها، فتتكلم الشخصية في الحوار بلغتها الخاصة عن رؤيتها للأحداث وانفعالاتها وتاريخها، فالوقت الذي يختفي فيه الراوي، بمعنى أن خطاب الراوي يتوقف ويبدأ حوار الشخصية.

وهكذا نجد أن التنويع في شخوص الرواية، وتقديم نماذج مختلفة لصانعي أحداثها يجعلها غنية وثرية بالأفكار والأحداث، وخاصة حين يتجلى فيها عنصر الحوار بأنواعه.

وقد يتمنى أي قارئ بعد قراءة الرواية أن يكون مثل بطلها في مواقفه الشجاعة، ومبادئه العالية وقيمه النبيلة، فالرواية ليست مجرد عمل فني فقط، وإنما لها هدف ورسالة تسعى لإيصالها.

كما أولت المقاربات والقراءات التي يتكئ عليها النقاد مكانة هامة للغة كونها تشكل مادة أساسية في الخطاب الروائي المغاربي، حيث ساهموا في إثرائها وتبيان أشكالها ورصدوا تحولاتها في الرواية المعاصرة، ووقفوا على حدودها وخصوصياتها، واستطاعوا إلى حد كبير ترسيخها في المشهد النقدي ومن بين الباحثين والنقاد الذين حددوا مظاهرها نجد الناقد عبد الحميد عقار، فقد شكل كتابه " الرواية المغاربية تحولات اللغة والخطاب "محاولة جادة لطرح مقاربة أكثر دقة حول مسار اللغة في الرواية

المغاربية، ولعل أبرزها ظاهرة التعدد اللغوي، فقد باتت هذه الأخيرة علامة بارزة على التحول الجذري للفن الروائي المغاربي، إذ رصدت شكلا مغايرا للغة يختلف تماما عما كانت عليه الرواية الكلاسيكية، فما هي حدود تصنيف هذا التعدد اللغوي في النص الروائي المغاربي؟.

نالت مسألة التعدد اللغوي حظها الأوفر من قبل الكثير من الباحثين والدارسين، بل أصبحت الأساسية لديهم وذلك نظرا لحضورها الفاعل داخل الخطاب الروائي المغاربي، فنجد الناقد عبد الحميد عقار في الفصل الأول من كتابه "الرواية المغاربية تحولات اللغة والخطاب" يتحدث عن الشعرية في تشكيل حدود الخطاب الروائي المغاربي، كونها نظرية أدبية تعنى باللغة التي تتضمنها النصوص الروائية المرتبطة والمتصلة بالظروف الثقافية والاجتماعية والتاريخية السائدة، "فالنص الروائي والأدبي عامة مزدوج الشفرة أو التسنين، لأنه يحقق ائتلافا بين المادة النسقية التي تمثلها اللغة الطبيعية والمادة الخارجة عن النسق والخارجة عن اللغوية، والتي تتمثل في السنن الثقافية والمعايير الاتفاقية والتقاليد الأدبية الموروثة أو المكرسة والايديولوجيا المندمجة في البنية اللغوية"، وينطلق عبد الحميد عقار في حديثه عن الشعرية معتبرا إياها عنصرا أساسيا يكون الخطاب الروائي ويشكل خصوصياته، فهي تدل على أسلوب الكاتب الذي يختاره بوعي أو بغير وعي قاصدا من خلاله تشكيل نصه ضمن صياغة لغوية جديدة تنزاح عن المعيار السائد لتكون الرواية بهذا الوصف تشكيلا لغويا يحمل لغات متعددة ومتنوعة تعكس لغات المجتمع وما تحمله فئاته من طبائع وأفكار ومشاعر وعواطف وسلوكيات وصراعات ومفارقات، وهذا يعني أن توظيف شعرية التعدد اللغوي في الرواية "سيمنح الأصوات مساحات ملائمة لكي يعرض كل منها وجهة نظره، كما سيساهم بشكل كبير في تكثيف الدلالة ومنح لغة الرواية قدرا كبيرا من الشعرية من خلال انفتاحها على قراءات تأويلية للأصوات من جهة ومن ما تخلقه من علاقات لم تكن متوقعة بين مكوناتها من جهة أخرى"، على هذا النحو إذن حدد عبد الحميد عقار الشعرية في تحليلاته وفق الرؤية الباختينية التي تنظر إلى اللغة بوصفها متعددة الأوجه متشبعة بجدلية التجارب الحياتية تتواصل في اجتياح لغاتها وبناءها الذاتي تواصلا مع حركة المجتمع، ولأن الشعرية ببساطة هي بنية اجتماعية في الحدود الواسعة لهذا المفهوم فإنها "هي القادرة على مقاربة الخطاب الروائي المعقد التركيب بفعل تعدديته تلك، وبفعل هجنته وانفتاحه النصي" الذي لا يخلوا من تنوع الدلالات الاجتماعية واختلاف زوايا النظر للواقع المعيشي.

## أولا- خصوصية التعدد اللغوي في الرواية المغاربية :

اتجه عبد الحميد عقار إلى تحديد أهم البنيات التي تكوّن الرواية المغاربية فمن خلال مقاربته لرواية الفريق لعبد الله العروي تمكن من الكشف عن أهم التقنيات التي تقيم خصوصيتها وتطبعها بطابع التعدد في لغاتها، هذا التعدد حسب رأيه يضفي على الرواية طابعا حواريا متميزا، وهويشكل أيضا نمطا بنائيا ترتسم فيه الذاتية الإنسانية، ومما لاشك فيه عبر مساحة من لغات اللغات،أن هذا التغيير في طريقة التعبير عن الواقع والحياة الإنسانية يعد تشكيلا جديدا للغة الروائية التي شهدت تحولا كبيرا، إذ أصبح الكاتب يحرص عليه أشد الحرص في عمله الروائي، ذلك أن الرواية في علاقتها مع السياق الاجتماعي "لا ترتبط بالرؤية للعالم بقدر ما ترتبط بتقديم العالم الاجتماعي من حيث هو حوار وصراع بين جماعية وفردية تظهر في البنيات الدلالية والسردية للتخييل". إن عبد الحميد عقار ينزاح إلى التصور بأن الرواية المغاربية تشكل نصها وتقيم خصوصيته عبر مسار لغوي حديث، يفرض ابتكار طريقة جديدة لا تعتمد على تقديم الواقع الاجتماعي بلغة واحدة، بل تعتمد على التعدد اللغوي وهنا تكون رؤية العالم الاجتماعي نابعة بالأساس من منظومة لغوية يجسدها الحوار، إذ تمتلك من خلاله سلطة التعبير بأكثر من لغة، وهذه الحقيقة تؤكد حذق الروائي ليأخذ من العالم الاجتماعي مادة حكايته، لكن في نفس الوقت يعبر عنه من خلال الحوارات التي تساهم بدورها في كشف التعدد اللغوي وتجاوز اللغة المصمتة والأحادية، فالتعدد اللغوي إذن له وظيفة مستوحاة من طرق الكلام، وهو يتجسد من خلال التحاور الذي يتشكل وفق انفعالات ذاتية تستمد شرعيتها من خلال محيطها الاجتماعي، لأن التواصل اللفظي لا يمكن أن يدرك خارج الوضع الاجتماعي، وهذا معناه أن اللغة في النص الروائي ليست واحدة، بل هي متعددة بتعدد الشخصيات ووجهات النظر والمواقف داخل الحكي، فمن خلال الحوارات يتم الكشف عن العالم الاجتماعي لمختلف الأصوات الموجودة في الرواية، ومن ثم تفتح أقوال الشخصيات المجال لاستخدام لغات متعددة دون أن يتشتت العمل الروائي. فتعددية اللغة إذن لا يمكن أن تتحقق "وهي مفصولة عن تعدد الأصوات والرؤى والمواقع وعن الطابع الحواري لمجموع النص".

هكذا يرى عبد الحميد عقار أن التعدد اللغوي في رواية الفريق يساهم في تأسيس تقليد فني جديد يمنحها القدرة على التكثيف والتنويع في طاقتها الأسلوبية والتعبيرية، وهو الأمر الذي يعطي للغة ملامح تنزاح عن المعتاد، ويدخلها إلى عوالم جديدة تحررها من الرتابة والتجريد الذي لطالما عرفت به الرواية

العربية نتيجة عوزها للتعدد اللغوي، فالمتتبع للنص الروائي العربي يلاحظ فيه هيمنة الصوت الأحادي وعدم تنويع اللغة والاكتفاء بلغة أحادية تتسم بالرتابة والتكرار دون تحقيق النص للتعدد اللغوي البناء لذلك فإننا نجد عقار يشيد بدور التعدد اللغوي الفعال والحاسم في "إضفاء الدينامية والتوالد على الشكل الروائي والاحتمالية والقابلية لتعدد القراءات والتأويلات في مستوى الدلالة الممكنة" لرواية الفريق مثلا وهذا إنما يعني أن التعدد اللغوي يفتت أحادية اللغة ويسمها بالحركة والتغير،كما يجعلها أيضا تبدوا قابلة لأكثر من معنى ولأكثر من تأويل ويتجلى هذا التعدد من خلال تنوع الخطابات والأشكال التعبيرية المشخصة، ذلك أنه من غير الممكن تشخيص طبيعة الوعي الاجتماعي في رصد عوالمه وتشييد محكياته دون كلام يعكس تلاوين تتصل باختلاف البيئة أو المستوى الثقافي والاجتماعي، فاختلاف "المستويات الثقافية والاجتماعية يؤثر تأثيرا كبيرا في اللغة التي تتكلم بها كل طبقة اجتماعية...فاللغة التي يتكلمها المثقفون وعلية القوم ليست هي اللغة التي يتكلمها عامة الناس "، حيث حدد عبد الحميد عقار تمظهرات هذا التنوع وتحققاته التي توظف في الرواية انطلاقا من السارد العليم التي تحدد المنظورات والأحداث ورؤية عالم الرواية، أولغة الشخصية المعبرة عن تصارع المواقف والإيديولوجيات في الحدث الروائي أو من خلال احتكاك اللغات في النص الواحد علما أن لكل لغة وعيها وفكرها وإيديولوجيتها التي تشكلها أوعبر اشتغال الأجناس التعبيرية، وقد عبر الناقد عن ذلك بقوله: "هذا التنوع يخترق الرواية ككل، ابتداء بصيغة الخطاب وانتهاء بالصوغ العلائقي التناصي للغات والثقافات والأجناس التعبيرية مرورا بالتقاط نتف من اللغات الاجتماعية والمهنية بمختلف متغيراتها، ونتف من اللغات ذات الصوغ الذاتي بعيدا عن المونولوجية، حيث تتوالى لغات الحلم والرؤى والنزوع السيري التحليلي في المحكيات المنشطرة وحتى لسان السارد العليم أحيانا، عندما يتوسل بالأسلوب غير المباشر فيتداخل خطابه بخطاب الشخصية "، فهو يرى أن هذه الأنماط التي تساهم بدورها في مبدأ التعدد اللغوي حيث تشكل فضاء معقدا تتقاطع فيه لغات متعددة، إلا أن "هذا التعدد لا يؤدي إلى تفكيك النسق السردي، بل هو صيغة جديدة في الكتابة الأدبية تنتقد الصياغة الاختزالية، وتفصح عن الطبيعة التركيبية الحوارية للخطاب الروائي، وتعرب عن لغته المتنوعة".

وبذلك فأن التعدد اللغوي يساهم في تأسيس نموذج جديد يمنح الرواية القدرة على التكثيف والتنويع في نظامها الأسلوبي والتعبيري، ويخرج بها عن حدود المألوف إلى مناطق إبداعية تنصهر في مشروع الكتابة الجديدة الرافضة لأحادية اللغة، فإن الناقد عبد الحميد عقار وغيره من النقاد قد تبنوا فكرة أنه من

الضروري أن نرصد مظاهر التعدد اللغوي وتجلياته في الرواية المغاربية ما يؤكد على أثره الفعال في المتن الروائي.

في الختام نستنتج أن الرواية فضاء، تتعدد فيه وجهات النظر، وتتنوع فيه مستويات اللغة وأساليبها كما يلعب الحوار فيه دورا مهما في تحاور الشخصيات مع بعض أي أن سلاسة الحوار المتقون تضفي للمتلقي شعور المتعة.فهو بذلك الأساس الذي تقوم عليه الرواية.

**المراجع المعتمدة:**

1.نجم عبد الله كاظم، مشكلة الحوار في الرواية العر بية، عالم الكتب الحديثة، الأردن، ط1، 2007م

2. صالح بوشعور، محمد أمين، آليات بناء الحوار الدرامي بين السردية والشعرية في المسرح، مجلة اللغة العربية، مجلد22، ع4، الثلاثي الرابع 2020م

3. فاتح عبد السلام، الحوار القصصي وتقنياته وعلاقاته السردية، دار النشر، عمان، ط1، 1999م

4.عثمان بدري، وظيفة اللغة في الخطاب الروائي الواقعي عند نجيب محفوظ، موفم للنشر، الجزائر 2007م

5. محمد صابر عبيد، المغامرة الجمالية للنص الروائي، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن، 2010م